ردود القرآن على
كفار قريش في بعض دعاويهم

القرآن الكريم

خالد بن محمود بن عبدالعزيز الجهني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ردود القرآن الكريم على كفار قريش في بعض دعاويهم

إعداد

خالد بن محمود الجهني

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

بسم الله الرحمن الرحيم

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد.

فإن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ رد على كفار وأفحم دعواهم بأيسر أسلوب، وأوضح عبارة، وأقصر طريق، وفي هذا البحث المختصر سنبين إن شاء الله بعض ردود القرآن الكريم على كفار قريش في بعض دعاويهم.

وسوف نتبع إن شاء الله تعالى في هذا البحث المنهج التحليلي لمعالجة مباحثه.

وقد قسمنا البحث ثمانية مباحث كل مبحث يتناول دعوى من دعاوى كفار قريش والرد عليها من القرآن الكريم، وهي كالتالي:

المبحث الأول: الرد على ادعائهم الشريك لله ﷻ.

المبحث الثاني: الرد على ادعائهم أن لله ﷻ ولدا.

المبحث الثالث: الرد على ادعائهم أنهم وجدوا عبثا.

المبحث الرابع: الرد على ادعائهم أنهم لن يبعثوا.

المبحث الخامس: الرد على إنكارهم الغيب.

المبحث السادس: الرد على تكذيبهم النبي ﷺ.

المبحث السابع: الرد على ادعائهم أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ.

المبحث الثامن: الرد على ادعائهم أن النبي ﷺ يقص عليهم من قصص عيسى عليه السلام ليعظمه العرب.

ثم توَّجنا البحث بالخاتمة التي وضعناها للوقوف على ملخص النتائج التي توصلنا إليها.

فنسأل الله الكريم أن يعاملنا بلطفه، وأن يتجاوز عنا، ويرفع درجاتنا.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

١/ ٤/ ١٤٣٥هـ

المبحث الأول
الرد على ادعائهم الشريك لله سبحانه وتعالى

ادعى كفار قريش الشريك لله تعالى في عبادته سبحانه وتعالى؛ وتعجبوا أيما تعجب من جعل المعبودات كلها إلها واحدا، يسمع دعاء الجميع، ويعلم عبادة كل عابد عبدَه(١).

قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك -قبحهم الله تعالى- وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]»(٢).

والذي جعل كفار قريش يقولون ذلك أن الرسول ﷺ دعاهم لعبادة الله وحده دون ما سواه فجدوا ذلك وتعجبوا منه؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَأَتَتْهُ قُرَيْشٌ، وَأَتَاهُ رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُهُ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ مَقْعَدُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ فَقَعَدَ فِيهِ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَقَعُ فِي آلِهَتِنَا، وَقَالَ: مَا شَأْنُ قَوْمِكَ

---

(١) ينظر: الطبري [محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)]، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، (٢١/ ١٤٩).

(٢) ابن كثير، [إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤)]، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م، (٧/ ٥٣).

يَشْكُونَكَ؟ قَالَ: «يَا عَمِّ أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمِ الْجِزْيَةَ»، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلا اللهُ»، فَقَامُوا: فَقَالُوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ قَالَ: وَنَزَلَ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص:١] ، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص:٥](١).

وقد تنوعت سبل القرآن الكريم في الرد على هؤلاء الشرذمة الضالين؛ **فتارة** يأتي الرد بأن الله ﷾ منزه عن ذلك فهو الخالق لكل الشيء، وما سواه مخلوق لا يقدر على شيء، وأنه لا يستطيع نصر نفسه فضلا عن غيره.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠٢].

قال الطبري في تفسير الآيات: وجعلوا لله الجنَّ شركاءَ في عبادتهم إياه، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير، وتخرَّصوا لله كذبًا، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلا بالله وبعظمته، وأنه لا ينبغي لمن كان إلهًا أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك، فتنزه الله، وعلا فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه، في ادّعائهم له شركاء من الجن، واختراقهم له بنين وبنات، وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته؛

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٢٠٠٨)، والنسائي في الكبرى (٨٧١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٥٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٨٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٨٣)، وصححه أحمد شاكر في مسند أحمد بالرقم المذكور.

لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد، والذين تضطرّهم لضعفهم الشهواتُ إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة(١).

وقال تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ (١٩٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩٦) وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ (١٩٨)﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٨].

قال البغوي في تفسير الآيات: أتشركون بالله ﷻ ما لا يخلق شيئا، وهم مخلوقون، ولا يستطيعون لهم من أطاعه، ولا أنفسهم ينصرون، وإن تدع معبوداتهم إلى الهدى، لا يتبعوك؛ لأنها غير عاقلة، وهي عباد لله أمثالكم، فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، أنها آلهة(٢).

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١١/ ١٠-١١).

(٢) ينظر: البغوي، [محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت ٥١٠)]، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ، (٢/ ٢٩٥).

وتارة يبين سبحانه وتعالى أن معبوداتهم مخلوقة، أهم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير مقدّر، أَمْ هُمُ الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق بَلْ يشكون في ذلك(١)، فكيف تعبد من دون الله سبحانه وتعالى؟

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

وتارة يأتي الرد بالتخويف من عقابه، وأليم عذابه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)﴾ [الذاريات: ٥١].

قال الطبري في تفسير الآية: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته إني لكم من الله نذير أنذركم عقابه، وأخوّفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذي قصّ عليكم قصصهم، والذي هو مذيقهم في الآخرة(٢).

وتارة ببيان حقيقة تلكم المعبودات، وأنها لا تسمع ولا تبصر، وأنها من صنع البشر، فكيف تنفع أو تضر؟!!

قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦].

قال ابن عطية في تفسير الآية: أي تجعلون إلها معظما شيئا صنعتموه من عود أو

---

(١) ينظر: الزمخشري [محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨)]، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٠٧هـ، (٤/ ٤١٤).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان (٢٢/ ٤٤٠).

حجر وعملتموه بأيديكم، أخبرهم بخبر لا يمكنهم إنكاره وهو قوله: وَاللهُ خَلَقَكُمْ وأعمالكم(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠) قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (٧٢) أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (٧٣)﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٣].

قال نصر بن محمد السمرقندي: أراد إبراهيم عليه السلام أن يبين للمشركين عيب فعلهم؛ فقال لهم: هل تجيبكم الآلهة إذا دعوتموهم أو ينفعونكم إذا عبدتموهم، أو يضرونكم إن لم تعبدوهم(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ (٦٦)﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٦].

قال ابن كثير: إنما أراد إبراهيم عليه السلام بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم؛ لأنه جماد؛ فرجعوا إلى أنفسهم

---

(١) ينظر: ابن عطية [عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢)]، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤/ ٤٧٩).

(٢) ينظر: السمرقندي [نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣)]، بحر العلوم، (٢/ ٥٥٧).

بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون؛ لأنكم تركتم لها مهملة لا حافظ عندها، فتحيروا وعجزوا ؛ ثم قالوا إبراهيم ﷺ: كيف تقول لنا: سلوهم إن كانوا ينطقون، وأنت تعلم أنها لا تنطق؛ فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك: إذا كانت لا تنطق، وهي لا تضر ولا تنفع، فلم تعبدونها من دون الله(١).

ويتبين مما سبق أن القرآن العظيم لم يترك دعوى باطلة من دعاوى كفار قريش إلا أبان عيبها، وأظهر ركاكتها وضعفها، بأوضح عبارة، وأبين أسلوب.

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٣٥٠).

المبحث الثاني

الرد على ادعائهم أن لله ﷾ ولدا

ادعى كفار قريش على الله كذبا وزورا أن له ولدا، فرد الله ﷻ في القرآن عليهم وصحح أغلاطهم، وفضح أباطيلهم.

وقد تنوعت أساليب القرآن المجيد في الرد على تلكم الثُّلة الكافرة، **فتارة** يأتي الرد ببيان أنه منزه عن ذلك؛ لكمال غناه ﷾، فكل ما في السماوات والأرض عبيد له ﷻ؛ فكيف يتخذ منهم ولدا؟

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)﴾ [البقرة:١١٦]، أي مطيعون لله ﷻ(١).

وتارة ببيان كمال غنى الله ﷾، وأن ما يقولونه من ادعاء الولد له ﷿ تقول على بلا علم.

قال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨)﴾ [يونس:٦٨].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦)﴾ [الأنبياء:٢٦].

قال الشوكاني في تفسير الآية الأولى: «هذا نوع آخر من أباطيل المشركين التي

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (٢/ ٥٣٨).

كانوا يتكلمون بها، وهو زعمهم بأن الله سبحانه اتخذ ولدا، فرد ذلك عليهم بقوله سبحانه ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾، فنزه جل وعلا نفسه عما نسبوه إليه من هذا الباطل البين، وبين أنه غني عن ذلك، وأن الولد إنما يطلب للحاجة، والغني المطلق لا حاجة له حتى يكون له ولد يقضيها، وإذا انتفت الحاجة انتفى الولد، وأيضا إنما يحتاج إلى الولد من يكون بصدد الانقراض ليقوم الولد مقامه، والأزلي القديم لا يفتقر إلى ذلك»(١).

ولما كان اتخاذ الولد نقصا في جانب واجب الوجود أعقب مقالتهم بكلمة سبحانه تنزيها له عن ذلك فإن اتخاذ الولد إنما ينشأ عن الافتقار إلى إكمال النقص العارض بفقد الولد(٢).

وتارة ببيان أنه ﷻ ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو تعالى شأنه خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومقدرها ومدبرها بمشيئته وحده لا شريك له(٣).

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء:١١١].

وتارة ببيان أن قولهم في غاية النكارة، تكاد السماء من نكارته أن تسقط

---

(١) الشوكاني [محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠)]، فتح القدير، طبعة: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، (٢/ ٥٢٣).

(٢) ينظر: ابن عاشور [محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)]، التحرير والتنوير، طبعة: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م، (١٧/ ٥٠).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٣٠).

عليهم، وتنخسف بهم الأرض، تنطبق عليهم الجبال؛ لأنه ما يليق بالرحمن اتخاذ الولد ولا يوصف به⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)﴾ [مريم: ٨٠-٩٢].

وتارة يتنزل معهم في زعمهم، ويبين أنه لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاختار من خلقه ما يشاء؛ وهو منزه عن أن يكون له ولد، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)﴾ [الزُّمَر: ٤].

وتارة تنزه الجنُّ الرب تعالى جلاله وعظمته، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ [الجن: ٣].

وتارة ببيان أنه لم يكن له ولد، فهو الفرد أبدا، ولا يصح أن يكون غيره معبودا ووارثا للملك عنه، ثم يؤكد الكلام بأنه لم يكن له شريك في الملك، فهو المنفرد بالإلهية⁽³⁾.

---

(١) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، (٣/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، (٢١/ ٢٥٢).

(٣) ينظر: أبو حيان [محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥)]، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، طبعة: دار الفكر – بيروت، سنة النشر: ١٤٢٠هـ، (٨/ ٨٠)، وسراج الدين الدمشقي [سراج

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١﴾ [النساء: ١٧١].

قال الماتريدي في تفسير الآية: «نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بأن له ولدًا، ثم أخبر أن له ما في السماوات وما في الأرض؛ وإنَّما يُتَّخذُ الولد لإحدى خصال ثلاث: إما لحاجة تمسه؛ فيدفعها به عن نفسه، أو لوحشة تصيبه؛ فيستأنس به، أو لخوف غلبة العدو؛ فيستنصر به ويقهره، أو لما يخاف الهلاك؛ فيتخذ الولد ليرث ملكه؛ فإذا كان الله - سبحانه - يتعالى عن أن تمسه حاجة أو تصيبه وحشة، أو لملكه زوال - يتعالى عن أن يتخذ ولدًا وهو عبده»⁽¹⁾.

وتارة ببيان أنه خالق كل شيء، فكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟ والولد إنما يكون متولدا عن شيئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد، وهو مبدع السموات والأرض

الدين عمر بن علي الحنبلي النعماني (ت ٧٧٥)]، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م، (١٤/ ٤٧٤).

(١) الماتريدي [محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣)]، تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، (٣/ ٤٢٧).

وخالقهما ومنشئهما ومحدثها على غير مثال سبق، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه؟ وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ ﴾ [مريم: ٣٥].

قال ابن كثير في تفسير الآية: لما ذكر تعالى أنه خلق عيسى عبدا نبيا، نزه نفسه المقدسة عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوا كبيرا، فإذا أراد شيئا فإنما يأمر به، فيصير كما يشاء⁽²⁾.

وتارة ببيان الآثار المترتبة على اتخاذ الولد، فلو كان له ولد أو شريك؛ لاعتزل كل إله منهم بِمَا خَلَق من شيء، فانفرد به، ولتغالبوا، فلعلا بعضهم على بعض، وغلب القويّ منهم الضعيف؛ لأن القويّ لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها، لمن عقل وتدبر⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وتارة يفضح دعواهم وكذبهم، ويبين أن دعواهم تلك كذب لا رصيد لها من

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٠٨).

(٢) السابق، (٥/ ٢٣٠).

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٩/ ٦٦).

الصحة[١].

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٢].

---

[١] السابق (٢١/١١٨-١١٩).

المبحث الثالث
الرد على ادعائهم بأنهم خلقوا عبثا

ادعى كفار قريش أنهم خُلِقوا عبثا بلا غاية مقصودة، فرد الله ﷻ عليهم بأنهم ما خُلقوا إلا لغاية حميدة ألا وهي عبادته وتوحيده سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد؛ يقولون: ما ثَّم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَّم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد»(١).

وقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٧].

قال الطبري في تفسير الآية: يخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين، العادلين به الأوثان والأصنام أنهم ينكرون أنّ الله يُحيي خلقه بعد أن يُميتهم، ويقولون: لا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء؛ فهم بجحودهم ذلك، وإنكارهم ثوابَ الله وعقابَه في الدار الآخرة، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية؛ لأنهم لا يرجون ثوابًا على إيمان بالله وتصديق برسوله وعملٍ صالح بعد موت، ولا

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٢٦٩).

يخافون عقابًا على كفرهم بالله ورسوله وسيّئٍ من عمل يعملونه(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص:٢٧].

فرد الله عليهم وفضح ادعاءهم الباطل؛ وقد تنوعت أساليب الردود القرآنية على هؤلاء الغافلين؛ **فتارة** يأتي الرد بالتوبيخ والتقريع الشديد.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦].

قال البغوي في تفسير الآيتين: أفحسبتم أنما خلقناكم لعبا وباطلا لا لحكمة، وأنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون(٢).

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ٣٦﴾ [القيامة:٣٦].

وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة؛ والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد(٣).

وتارة ببيان الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها؛ وهي عبادته سبحانه وتعالى، وطاعته(٤).

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١١/ ٣٢٣).

(٢) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، (٣/ ٣٧٨).

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٢٨٣).

(٤) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، (٩/ ٥٦١).

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾ [الأنبياء:١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

وتارة ببيان أن أهل الحق يعرفون أن الله لم يخلق الخلق إلا بالحق ليوحد الله ويعبده، ولم يخلقهم عبثا وباطلا بلا غاية[1].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران:١٩١].

---

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (١/ ٥٥٥).

المبحث الرابع

الرد على ادعائهم بأنهم لن يبعثوا

ادعى كفار قريش أنهم لن يبعثوا بعد الموت، فأدحض الله ﷻ حجتهم تلك وبين ضعفها، وأن البعث أهون عليه ﷻ من الخلق أول مرة.

قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التغابن:٧].

قال الطبري في تفسير الآية: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم؛ فقال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد: بلى وربي لتبعثن من قبوركم، ثم لتخبرنّ بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين⁽١⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾ [الرعد:٥].

قال ابن كثير في تفسير الآية: يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: وإن تعجب من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتدأ خلق الأشياء، فكونها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (٢٣/ ٤١٨-٤١٩).

العالمين خلقا جديدا، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه(١).

وقال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الصافات:١٦-١٨].

قال الطبري في تفسير الآية: يقول منكرو بعث الله إياهم بعد بلائهم: أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا ترابا وعظاما، قد ذهب عنها اللحوم؛ فالذين مضوا من قبلنا، بادوا وهلكوا؛ فتوعدهم الله سبحانه وتعالى دخول النار وهم صاغرون أشد الصَّغَر(٢).

وقد رد الله سبحانه وتعالى على هذه الدعاوى الباطلة بطرق عدة من وجوه متنوعة، أشهرها وجهان:

الوجه الأول: أن خالق الأشياء من العدم قادر على أن يخلقها بعد إماتتها.

قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٣٢).

(٢) قبل السابق، (٢١/ ٢٥).

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)﴾ [الإسراء:٤٨-٥٢].

قال الطبري في تفسير الآيات: يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثَّلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشباه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون، فجاروا عن قصد السبيل بقيلهم ما قالوا، فلا يهتدون لطريق الحقّ لضلالهم عنه وبُعدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرون على المَخْرَج مما هم فيه من كفرهم بتوفُّقهم إلى الإيمان به، وقل للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك: كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقا جديدا بعد بِلاكم في التراب، ومصيركم رُفاتا، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أوّل مرّة[1].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩)﴾ [الإسراء:٩٨-٩٩].

قال ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين: هذا الذي جازيناهم به، من البعث على العمى والبكم والصمم، جزاؤهم الذي يستحقونه؛ لأنهم كذبوا بأدلتنا وحججنا، واستبعدوا وقوع البعث بعد البلى والهلاك، فاحتج تعالى عليهم، ونبههم على قدرته على ذلك، بأنه خلق السماوات والأرض، فقدرته على إعادتهم يوم القيامة أسهل من ذلك كما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾

---

[1] (١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٧/ ٤٦٢-٤٦٣).

[غافر:٥٧]⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق:١٥].

قال البغوي في تفسير الآية: يعني أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالإعادة، وهذا تقرير لهم؛ لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، بل هم في شك من خلق جديد، وهو البعث⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر:٥٧].

قال القرطبي في تفسير الآية: «قال يحيى بن سلام: هو احتجاج على منكري البعث، أي هما أكبر من إعادة خلق الناس فلم اعتقدوا عجزي عنها»⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون:٨١-٨٤].

قال القرطبي في تفسير الآيات :يقول الله لنبيه ﷺ قل لمنكري البعث : من الذي له الربوبية، والوحدانية، وملكه الذي لا يزول، وقدرته التي لا تحول؟ فسيقولون: لله حتما؛ فقل لهم: أفلا تتعظون وتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٢٣).

(٢) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، (١٤/ ٢٧٢).

(٣) القرطبي [محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١)]، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، (١٥/ ٣٢٥).

إحياء الموتى بعد موتهم قادر(١).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [يس:٧٧-٨٣].

قال القاسمي في تفسير الآيات: يخاطب الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات منكري البعث: ألا يتأمل الإنسان في مبدأ نشأته أنا خلقناه من نطفة قذرة فإذا يجادل بالباطل أنه لن يبعث، قل يا محمد: إن قدرة الخالق لا تقاس على قدرة المخلوقين، وإنما تقاس إعادته على إبدائه، فلا يمتنع عليه جمع الأجزاء بعد تفرقها، لعلمه بها، أوليس الذي خلق السماوات والأرض مع كبر جرمهما بقادر على أن يخلق مثلهم بعد ما خلقهم أولا، إنما أمره النافذ إذا تعلقت إرادته بإيجاد شيء أن يقول له: كن فيكون أي فيوجد عن أمره، ثم نزه نفسه سبحانه وتعالى عما وصفه به المشركون(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن

---

(١) السابق، (١٢/ ١٤٥).

(٢) ينظر: القاسمي[محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)]، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، (٨/ ١٩٥-١٩٧).

يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ (٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ (٨) ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (١٠)﴾ [الحج:٥-١٠].

قال ابن عطية في تفسير الآيات: هذا احتجاج على العالم بالبداءة الأولى وضرب الله تعالى في هذه الآية مثالا إذا اعتبره الناظر جوز في العقل البعثة من القبور، ثم ورد خبر الشرع بوجوب ذلك ووقوعه، فهذا مثال يقضي للمعتبر به أن القادر على هذه المناقل المتقن لها قادر على إعادة تلك الأجساد التي أوجدها بهذه المناقل إلى حالها الأولى(١).

الوجه الثاني: أن الله قادر عليه مثال يشاهدونه في حياتهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [فُصِّلَت:٣٩].

قال ابن عطية في تفسير الآية: هذه آية منصوبة ليعتبر بها في أمر البعث من القبور، ويستدل بما شوهد من هذه على ما لم يشاهد بعد من تلك، وهي آية يراها عيانا كل مفطور على عقل، ثم ذكر تعالى بالأمر الذي ينبغي أن يقاس على هذه الآية

---

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (٤/ ١٠٧-١٠٨).

والعبرة، وذلك إحياء الموتى(١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأعراف:٥٧].

قال ابن عطية في تفسير الآية: هذه آية اعتبار واستدلا، وتحتمل مقصدين: أحدهما: أن يراد كهذه القدرة العظيمة في إنزال الماء، وإخراج الثمرات به من الأرض المجدبة هي القدرة على إحياء الموتى من الأجداث وهذه مثال لها؛ ويحتمل أن يراد أن هكذا يصنع بالأموات من نزول المطر عليهم حتى يحيوا به فيكون الكلام خبرا لا مثلا(٢).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٨ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ۝٤٩ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠﴾ [الروم:٤٨-٥٠].

قال البغوي في تفسير الآيات: «يعني إن ذلك الذي يحيي الأرض لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير»(٣).

وقال ابن كثير في تفسير الآيات: نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها

---

(١) السابق، (٥/ ١٨).

(٢) نفسه، (٢/ ٤١١-٤١٤).

(٣) البغوي، معالم التنزيل، (٣/ ٥٨٢).

وتفرقها وتمزقها، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات»⁽¹⁾.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦/ ٣٢٣).

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

المبحث الخامس
الرد على إنكارهم الغيب

أنكر كفار قريش الغيب؛ لأن عقولهم القاصرة لا تدركه؛ فبين الله سبحانه وتعالى أن الإيمان بالغيب من خصائص المؤمنين المتقين؛ فإذا صار الغيب مشاهدة لا ينفع الإيمان حينئذ.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر: ٦-٨].

قال الطبري في تفسير الآيتين: يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾، وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواعظ خلقه ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ في دعائك إيانا إلى أن نتَّبعك، ونذر آلهتنا ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ قالوا: هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول؟ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ يعني: إن كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا، فإن الربّ لا يتعذّر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا، وآية لك على نبوّتك(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝٢١ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٧/ ٦٧-٦٨).

﴿وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢﴾ [الفرقان: ٢١-٢٢].

قال ابن كثير في تفسير الآيتين: يقول تعالى مخبرا عن تعنت الكفار في كفرهم، وعنادهم في قولهم: لولا أرسل الله ملائكة بالرسالة لنراها عيانا؛ فيخبرونا أن محمدا رسول الله، فأجابهم الله ﷻ أنهم لن يروها إلا حين الاحتضار حين تبشرهم بالنار(١).

وقال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(٢).

قال ابن حجر: «والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت، وهي آيات ملجئة للإيمان ذهب، أو أن التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ من غير مقدمة إيمانها قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها من غير تقديم عمل صالح فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكتسب خيرا ليعلم»(٣).

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦/ ١٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧)، وأحمد (٧١٦١)، وأبو داود (٤٣١٢)، وابن ماجه (٤٠٧٠)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٦٤).

(٣) ابن حجر العسقلاني، [أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)]، فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبعة: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب، وعلق عليه العلامة:

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ (٨٤) فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (٨٥)﴾ [غافر: ٨٣-٨٥].

قال ابن كثير في تفسير الآيات: يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، فما أغنى عنهم ذلك شيئا؛ لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، وكذبوهم، فلما عاينوا وقوع العذاب بهم وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تقال العثرات، ولا تنفع المعذرة(١).

فالفارق بين المؤمن والكافر التصديق، فالذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، هم المفلحون(٢).

قال تعالى: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٥)﴾ [البقرة: ١-٥].

عبد العزيز بن عبدالله بن باز، (١١/ ٣٥٦).

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) السابق (١/ ١٦٥).

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

المبحث السادس
الرد على تكذيبهم النبي ﷺ

حاول كفار قريش تكذيب النبي ﷺ بشتى الطرق، فادعوا زورا وبهتانا أن ما يأت به من أساطير الأولين.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ ﴾ [الفرقان: ٤-٦].

قال السمرقندي في تفسير الآيات: يقول الله تعالى: إن كفار قريش قالوا: ما القرآن إلا كذب اختلقه محمد من ذات نفسه وَأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، فبين الله جل جلاله أن دعواهم تلك كاذبة، وادعوا أن القرآن من الأساطير يكتبها النبي ﷺ من جبر ويسار، وتقرأ وتملى عليه غدوة وعشية؛ ثم بين الله سبحانه وتعالى أن القرآن منزل من عنده، فهو يعلم السر وأخفى⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١ ﴾ [الأنفال: ٣١].

قال ابن كثير في تفسير الآية: يخبر تعالى عن كفار قريش أنهم يدعوا بالباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون: إننا نقدر أن نأتي بمثل هذا القرآن ليغروا به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم، وهذا منهم قول لا فعل، وإنما هذا قول منهم؛

---

(١) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، (٢/ ٥٢٩).

والأساطير جمع أسطورة، أي: كتبهم اقتبسها، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس، وهذا هو الكذب البحت⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام:٢٥] ؛ أي: ما هذا إلا أساطير الأوّلين⁽²⁾.

فأدحض الله ﷻ دعواهم تلك من وجوه:

الوجه الأول: أن النبي ﷺ لم يكن على علم من قبل بما ينزل عليه من الوحي.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف:٣]، أي عن معرفة هذا القصص⁽³⁾.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لا يعرف القراءة والكتابة؛ فمما يقوي نزول القرآن من عند الله أن محمدا ﷺ جاء به في غاية الإعجاز والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلو كتابا ولا يخط حرفا ولا سبيل له إلى العلم، فإنه لو كان ممن يقرأ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ وكان لهم في ارتيابهم متعلق، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده⁽⁴⁾؛ «ولم الشك في أمره وهو أمي لا يقرأ ولا

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٦).

(٢) الطبري، جامع البيان، (١١/ ٣٠٨).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٣/ ٢١٩).

(٤) السابق، (٤/ ٣٢٢).

يكتب، ولا يمكن أن يستمدّ من كتاب»(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت:٤٨].

قال ابن كثير في تفسير الآية: أي قد لبثت في قومك يا محمد، ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرا لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة، ولو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس، فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة(٢).

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ ما كان يعلم من القرآن شيئا قبل الوحي(٣).

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

الوجه الرابع: أن القرآن فيه من أخبار الأمم الماضية التي لا يعلمها النبي ﷺ ولا قومه.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود:٤٩].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران:٤٤].

---

(١) البيهقي [أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي البيهقي (ت ٤٥٨)]، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ، المقدمة، صـ(١٣).

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦/ ٢٨٦).

(٣) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، (٤/ ١٥٣).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٥-٤٦].

قال الدكتور مصطفى مسلم: «إن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن الكريم لدليل على أنه وحي من الله ﷻ وليس من عند البشر؛ لأن من ترعرع في بيئة مثل البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ لا يمكنه أن يطلع على مثل هذه الأمور التي لا سبيل للحصول عليها إلا بالتلقي، ولم يكن في تلك البيئة الأمية من يعرف هذه الأنباء على هذا الوجه الدقيق، وهذا كإخبار من تقدّم بنبوة محمد ﷺ؛ فإنّه دليلٌ على صدقه، وإن كان هو لم يعلم بما أخبروا به، ولا يستدلّ به»⁽¹⁾.

وادعوا أن النبي ﷺ تعلم القرآن من أهل الكتاب؛ فأدحض الله ﷻ دعواهم تلك، وبيّن أن القرآن أنزل بلسان عربي مبين فكيف يأخذه النبي ﷺ من أعجمي يلحن في قوله.

---

(١) مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، طبعة: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، صـ(٢٦٢).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣].

قال الطبري في تفسير الآية: يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم: إنما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تميلون إليه بأنه يعلم محمدا أعجميّ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدا هذا القرآن عبد روميّ، وهذا القرآن لسان عربيّ مبين⁽١⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصِّلت:٤٤].

قال القرطبي في تفسير الآية: «أي لو جعلنا هذا القرآن الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب، لقالوا: لولا بينت آياته بلغتنا، فإننا عرب لا نفهم لغة العجم، والاستفهام في قوله: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ للإنكار، وهو من جملة قول المشركين، أي: لقالوا أكلام أعجمي ورسول عربي؛ والأعجمي: الذي لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم؛ والأعجم ضد الفصيح: وهو الذي لا يبين كلامه، ويقال للحيوان غير الناطق: أعجم»⁽٢⁾.

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٧/ ٢٩٨).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، (٤/ ٥٩٥).

المبحث السابع

الرد على ادعائهم أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ

ادعى كفار قريش أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ من عند الله سبحانه وتعالى؛ ففضحهم الله سبحانه وتعالى وبيّن أنهم أخفوا كثيرا مما أنزل على موسى عليه السلام؛ وقد تنوعت أساليب القرآن في الرد عليهم؛ **فتارة** يذكرهم بما أنزل على الأنبياء من قبل، وتحريفهم للتوراة التي جاء بها موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩١-٩٢].

قال ابن كثير في تفسير الآيتين: يقول تعالى: وما عظمت قريش الله حق تعظيمه، إذ كذبوا رسوله إليهم،؛ لأنهم يبعدون إرسال رسول من البشر؛ فقل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله، من أنزل التوراة التي قد علمتم أن الله قد أنزلها على موسى عليه السلام نورا وهدى للناس، ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها من ظلم الشبهات، ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون، حتى يأتيهم من الله اليقين؛ وقل لهم: إن هذا القرآن أنزل علي لأنذر أهل مكة، ومن حولها من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم(١).

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٠٠-٣٠١).

وتارة يتحداهم بأن يأتوا بمثل التوراة والإنجيل.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص:٤٨-٤٩]، أي قل لهم يا محمد: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى التوراة والإنجيل أتبعه إن كنتم صادقين⁽١⁾.

وتارة ببيان أن ادعاءهم محض كذب، ويتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله إن كانوا صادقين في دعواهم. فإن كان كما تقولون أن محمد ﷺ افتراه واختلقه من عند نفسه، فإنكم مثله من العَرب، ولسانه مثل لسانكم، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن⁽٢⁾.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس:٣٧-٣٩].

قال ابن كثير في تفسير الآيات: هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته وبلاغته، لا

---

(١) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، (٣/ ٥٣٧).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٩١).

يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر(١).

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا وما استطاعوا.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤)﴾ [هود:١٣-١٤].

قال الطبري في تفسير الآيتين: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كفاك حجةً على حقيقة ما أتيتهم به، ودلالةً على صحة نبوّتك، هذا القرآن، فإن قالوا: اختلقته من نفسك، فقل لهم: يأتوا بعشر سُور مثل هذا القرآن مختلقات، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترىً، وليس بآية معجزةٍ إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد ﷺ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك، من الآلهة والأنداد.

وقل يا محمد لهؤلاء المشركين: فإن لم يستجب لكمْ من تدعون من دون الله إلى أنْ يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد ﷺ بعلم الله وإذنه، وأن محمدًا لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه(٢).

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)﴾ [السجدة:٣].

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٢٦٨).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٥/ ٢٥٩-٢٦١).

قال النيسابوري في تفسير الآية: «وهو تعجيب من قولهم لظهور أمر القرآن في تعجيز بلغائهم عن مثل سورة الكوثر»(١).

وتارة ببيان أن النبي ﷺ إن افتراه فلا يملك له أحد من الله شيئا، ولا يقدر أحد أن يرد عنه عذاب الله إن عذبه على افترائه، فكيف يفتري على الله من أجلكم(٢).

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)﴾ [الأحقاف:٨-١٠].

قال ابن كثير في تفسير الآيات: يقول الله ﷻ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن: أرأيتم إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به، فما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله علي لأبلغكموه، وقد كفرتم به وكذبتموه، وشهد شاهد من بني إسرائيل بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء قبلي، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به(٣).

---

(١) ينظر: النيسابوري [نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠)]، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، (٥/ ٤٣٥).

(٢) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، (٤/ ١٩١).

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٢٨٧).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

المبحث الثامن

الرد على ادعائهم أن النبي ﷺ يقص عليهم من قصص عيسى عليه السلام ليعظمه العرب

ادعى كفار قريش أن النبي ﷺ يقص عليهم من قصص عيس عليه السلام ليعظمه العرب كما عظموا عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزُّخرُف:٥٧-٥٨]، أي إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون، ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلها نعبده، كما عبدت النصارى المسيح⁽¹⁾.

فأدحض الله ﷻ دعواهم تلك بأن الغاية من القصص هي الاعتبار والاتعاظ، وبيان الحجة عليهم، وتحذيرهم من سلوك طريق الكفار من قبل.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]، أي لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم، وكيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين عظة وعبرة لأصحاب العقول⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٢٠﴾ [هود:١٢٠]، أي يتذكرون ما نزل بمن هلك

---

(١) الطبري، جامع البيان، (٢١/ ٦٢٤).

(٢) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، (٢/ ٥١٩)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٧).

فيتوبون، وخص المؤمنين؛ لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء(١).

وقال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٦٩) أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (٧٠)﴾ [التوبة: ٦٩-٧٠].

قال الخازن في تفسير الآية الثانية: يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار، وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم خبر الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا، أفلا يتعظوا ويتوبوا إلى الله؟(٢).

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ١١٦).

(٢) ينظر: الخازن [علاء الدين علي بن محمد الشيحي (ت ٧٤١هـ)]، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، (٢/ ٣٨٢).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وآله المستكملين الشرفا، وبعد..

فلقد تعرضنا في هذا البحث المختصر لمجموعة من الردود القرآنية على كفار قريش الذين كانوا يدعون كذبا وزورا هذه الدعاوى الباطلة؛ لصرف الناس عن سماع القرآن، ومن ثَّم الدخول في هذا الدين العظيم، ولم تزيد هذه الدعاوى أصحابها إلا وهنا، وأضفت للقرآن قوة وتعظيما في نفوس العقلاء، مما جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا.

ففي المبحث الأول رأينا كيف كانت الردود القرآنية على من ادعى لله شريكا في مُلكه، وكيف أفحم القرآن خصومه من الكفار بأسلوب معجزٍ في عباراته وألفاظه.

وكذلك في المبحث الثاني رأينا كيف كان الرد القرآني على ادعائهم أن لله سبحانه وتعالى ولدا؛ وأن دعواهم هذه لا رصيد لها من الصحة، وإنما هي وحي خيال.

وفي المبحث الثالث رأينا الردود القوية الرصينة على ادعائهم أنهم وجدوا عبثا، ولعبا، وكيف بين الله سبحانه وتعالى أنه ما خلق السماوات والأرضين إلا لعبادته جل جلاله.

وفي المبحث الرابع رأينا عظمة القرآن في الرد على ادعائهم أنهم لن يبعثوا، وكيف بين الله سبحانه وتعالى أن البعث أهون عليه عز وجل من الخلق الأول.

وفي المبحث الخامس رأينا كيف تعامل القرآن العظيم مع الذين أنكروا الغيب؛ وكيف بين الله سبحانه وتعالى السر في إخفائه للغيب، ليكون علامة وتفرقة بين المؤمن والكافر،

فالمؤمن الحق هو الذي يؤمن بالغيب، أما الكافر المرتاب، فلا يؤمن به.

وفي المبحث السادس رأينا كيف تواترت الأدلة القرآنية في الرد على ادعاءات المشركين في تكذيبهم النبي ﷺ.

وفي المبحث السابع رأينا كيف كان الرد على ادعائهم أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ، وأن الله أفحم دعواهم بأبسط عبارة، وأيسر أسلوب.

وفي المبحث الثامن رأينا كيف رد الله ش على ادعائهم أن النبي ﷺ يقص عليهم من قصص عيسى عليه السلام ليعظمه العرب.

وبهذا نستطيع أن نقول: إن القرآن امتاز في رده على دعاوى كفار قريش بعدة مميزات، لعل من أهمها: سهولة العبارة، وبساطة الأسلوب، وقوة الحجة، كثرة البراهين؛ هذا يجعل الجميع يسلم له.

ونلخص من هذا كله إلى تقرير تلكم الحقيقة الثابتة في عقول الجميع -الأذكياء والأغبياء على حد سواء-، وهي أن القرآن منزل من عند الله سبحانه وتعالى، وأن ما جاء به هو الصدق، وأن المعارضين له أيقنوا تلكم الحقيقة، ولكن أرادوا مكابرة وعنادا أن يعارضوه؛ فما زاده هذا إلا قوة، وبيانا.

المصادر والمراجع

١. أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١)، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣. أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت ٣٠٧)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

٤. البخاري [محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦)]، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة: دار طوق النجاة، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥. البغوي، [محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت ٥١٠)]، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٦. البيهقي [أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي البيهقي (ت ٤٥٨)]، دلائل

النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

٧. ابن حبان [محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، البُستي (ت ٣٥٤)]، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٨. ابن حجر العسقلاني، [أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)]، فتح الباري شرح صحيح البخاري، طبعة: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب، وعلق عليه العلامة: عبد العزيز بن عبدالله بن باز.

٩. أبو حيان [محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥)]، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، طبعة: دار الفكر – بيروت، سنة النشر: ١٤٢٠هـ.

١٠. الخازن [علاء الدين علي بن محمد الشيحي (ت ٧٤١هـ)]، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١١. أبو داود [سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السَّجِسْتاني (ت ٢٧٥)] ، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٢. أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت ٢٠٤)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

١٣. الزمخشري [محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨)]، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٠٧هـ.

١٤. سراج الدين الدمشقي [سراج الدين عمر بن علي الحنبلي النعماني (ت ٧٧٥)]، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

١٥. السمرقندي [نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣)]، بحر العلوم.

١٦. الشوكاني [محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠)]، فتح القدير، طبعة: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٧. ابن أبي شيبة [أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥)]، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طبعة: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٨. الطبري [محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)]، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٩. ابن عاشور [محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)]، التحرير والتنوير، طبعة: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م.

٢٠. ابن عطية [عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢)]، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١. القاسمي [محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)]، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢٢. القرطبي [محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١)]، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٣. ابن كثير، [إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤)]، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

٢٤. الماتريدي [محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣)]، تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، طبعة: دار الكتب العلمية –

بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٥. ابن ماجة [أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٦. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧. النيسابوري [نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠)]، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

٢٨. د. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، طبعة: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

الفهرست

مقدمة..............................٣: ٤

المبحث الأول: الرد على ادعائهم الشريك لله عز وجل..........٥: ١٠

المبحث الثاني: الرد على ادعائهم أن لله سبحانه وتعالى ولدا..........١١: ١٦

المبحث الثالث: الرد على ادعائهم أنهم وجدوا عبثا..............١٧: ١٩

المبحث الرابع: الرد على ادعائهم أنهم لن يبعثوا..........٢٠: ٢٧

المبحث الخامس: الرد على إنكارهم الغيب...................٢٨: ٣٠

المبحث السادس: الرد على تكذيبهم النبي ﷺ...................٣١: ٣٥

المبحث السابع: الرد على ادعائهم أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ.....٣٦: ٣٩

المبحث الثامن: الرد على ادعائهم أن النبي ﷺ يقص عليهم من قصص عيسى عليه السلام ليعظمه العرب.................................٤٠: ٤١

الخاتمة................................٤٢: ٤٣

المصادر والمراجع.........................٤٤: ٤٨

الفهرست..................................٤٩